Linguistic and Philosophical Investigations
ISSN: 1841-2394, e-ISSN: 2471-0881
Vol 25 (1), 2026
pp. 1110–1121

Text and Discourse: An Inquiry into the Concept

Dr .Abidi charif [1]

[1:] Mohamed Khider University – Biskra, Algeria, abwahmdbyd453@gmail.com

Abstract:

Abstract

The attempt to investigate the emergence and development of the concepts of discourse and text aims to understand the differences between the cognitive, historical, and cultural contexts that produced these two concepts, and to be aware of the theoretical mechanisms in differentiating them. This study aims to clarify the conceptual dimensions of the two terms and the differences between them.

Keywords : Text - The speech -Narrative text -Narrative discourse

Received: 28 /04/ 2026 **Accepted:** 05 /06/ 2026 **Published:** 31 /08/ 2026

النص والخطاب: بحث في المفهوم

د. شريف عبيدي[1]

[1]: جامعة محمد خيضر –بسكرة–، الجزائر، abwahmdbyd453@gmail.com

الملخص:

إن محاولة استقصاء نشوء وتطور مفهومي الخطاب والنص يهدف إلى فهم الاختلافات بين السياقات المعرفية، والتاريخية، والثقافية التي أنتجت هذين المفهومين، والوعي بالآليات النظرية في التفريق بينهما، وتهدف هذه الدراسة إلى تبيان الأبعاد المفاهيمية للمصطلحين والفروق بينهما.

الكلمات المفتاحية: النص –الخطاب – النص السردي –الخطاب السردي.

مقدمة:

يمكن اعتبار مفهومي النص والخطاب مفهومين مركزيين بالنسبة للدراسات الأدبية والنقدية واللسانية على حد السواء، وذلك بالنظر إلى الحضور المهيمن لهذين المفهومين في هذه الخطابات الثلاثة وغيرها من الخطابات المتعلقة بمجال الدراسات الأدبية عموما. وفي هذا الإطار يمكن أن يُعدَّ حقل الدراسات اللغوية ومنهج أصول الفقه في التراث العربي وما يلحق بها من المباحث الدلالية واللسانية المهاد الطبيعي والأساسي لهذين المفهومين، وذلك لا يعني قَصْر تواتر هذين المصطلحين في الثقافة العربية على حقل أصول الفقه فـ (عبد الملك مرتاض) يرى أن: «النص باللغة العربية في وضع اشتقاق، كان ورد في الاستعمالات المعجمية القديمة بمعنى النسج أيضا كما سنرى، لكن الغربيون أخذوا النص (النسج) مباشرة من المادة نفسها على حين أن العرب المحدثين ضلوا به السبيل فذهبوا يلتمسون وجوده لدى الأصوليين من الفقهاء، وإذن فإن اللغة العربية القديمة كانت لحنت إلى هذه الدلالة المادية التي لحن إليها اللاتينيون أيضا، فعبَّرت عن مدلول النص المعاصر بلفظ "النسج" هي أيضا، حيث إنهم يطلقون ذلك على عمل الريح ونشاطها في الرمل والتراب والماء»[(1)].

وإذا كان مفهوم النص والخطاب في الثقافة العربية مرتبطا أوثق الارتباط بالحقلين السابقين، في ضَوْءِ علاقتهما بالدراسات القرآنية، كما يذهب إلى ذلك العديد من الدارسين مع معارضة البعض أو تحفظهم على ذلك لأن احتمال اتصال مفهوم النص بمصطلحات علم الأصول في نظرهم هو الاحتمال: «الأدنى إلى الحقيقة في هذه المسألة الغامضة، إذ النقاد الأقدمون لم يستخدموا في لغتهم، نُقَرّرُ ذلك بكل حزن، لا النص ولا النسج أيضا، فلما جاء المحدثون يبحثون في هذا الأمر انصرفت أوهامهم إلى مصطلحات الأصوليين، يغترفون منها، وكذلك نجد كثيرا من الألفاظ التي نصطنعها لا دلالة لها في مفهوم الاشتقاق ووضع اللغة، ولكنها تأخذ دلالة تقوم على المواضعة بين الناس قبل أي شيء آخر»[2].

غير أن هذين المفهومين الأخيرين اتخذا أبعادا فلسفية وإجرائية أكثر فاعلية بإزاء تحليل النصوص الأدبية والدراسات اللسانية النقدية الحديثة، والتي ترجع من دون شك في أصولها النظرية والعلمية إلى الدراسات الغربية في مجال النظرية الأدبية والنقدية، وتحليل الخطاب واللسانيات التداولية، وحتى الأدب المقارن، وما يتصل منه على وجه الخصوص بدراسة المصادر الأدبية، وما يلحقها من نظرية التناص، وهو ما جعل (غريماس A.J *Greimas*) (وكورتيس J.*Courtès*) يقرران: «أن الأدب المقارن أفاد من تشابه الأفكار عبر أدب لغتين اثنين، أو حتى عبر أدب لغات متعددة، بعد أن كانت نظرية التناص (نظرية السرقات الأدبية بالمصطلح القديم) تجتزئ بمتابعة تشابه الأفكار عبر أدب لغة واحدة»[3].

ومن ذلك يصح القول إن مفهومي النص والخطاب يمثلان مفهومين مركزيين وإن كان مفهوم النص أكثر حضورا وممارسة في الحقول السالفة كما يدّل على ذلك بروزه في مجال نقد الأدب، خاصة فيما يتصل بالنظريات والمناهج النقدية الحداثية، وأكثرها توهجا هو المنهج البنيوي، الذي أعطى للنص مفهوما نظريا أساسيا في طروحاته عن جوهر النقد الأدبي، ولذلك فهو يختلف في تعريفه للنص: «عن المناهج النقدية الأخرى في أنه يقطع النص عن مبدعه، وعن سياقه التاريخي والاجتماعي»[4].

وإذا كان الأمر كذلك فلابد إذا أريد استجلاء مفهومي النص والخطاب من تتبع لمسيرة تطور ونضج هذين المفهومين، وبحث الفروقات بينهما، وتحليل اختلاف اللسانيين والنقاد والمفكرين في هذين المفهومين، وصولا إلى استقصاء مفهومي النص والخطاب في مجال النظرية الأدبية والنقدية، وما يلامسها وما يتفرع عنها من مستويات وحقول معرفية.

مفهوم النص والخطاب في التراث العربي: ففي السياق العربي كان ظهور مفهوم النص مترافقا مع ظهور مفهوم الخطاب من حيث الاصطلاح، على أن لفظي النص

والخطاب كان ورودهما أسبق في اللسان العربي من المفهوم الاصطلاحي، فالزمخشري يذهب إلى أن: «قولنا نص الحديث إلى صاحبه يكون بمعنى توثيق نسبته إليه برفعه وإسناده إلى صاحبه»[5].

غير أن العبرة تكمن أساسا في تأصيل الاصطلاح الذي تواضع عليه الدارسون العرب القدامى في شأن هذين المفهومين، وعلى ذلك يحسن القول بأن مفهومي النص والخطاب في التراث العربي يتصلان اتصالا واضحا بنشأة العلوم في الثقافة العربية بعد القرن الأول للهجرة، ومن المعلوم أن نشأة العلوم وقتئذ كانت مرتبطة بخدمة النص القرآني لا يستثنى من ذلك أي علم من تلك العلوم كالنحو والبلاغة واللغة وغيرها.

ومن تلك العلوم يقف الباحث على علم أصول الفقه الذي يعود تأسيسه على الأشهر إلى الإمام الشافعي (ت 204هـ) فرسالة الشافعي تعتبر: «المحاولة الأولى لتأسيس ما ازدهر بعده باسم أصول الفقه»[6] ، فالشافعي أراد أن يجمع بين مدرستين فقهيتين مختلفتين من حيث المنهج في فهم القرآن والسنة النبوية وهما مدرستا "الأثر والرأي". ولا شك أن احتكاك الشافعي بهاتين المدرستين وتلقيه عن كليهما، جعله يحس بالخطر البالغ على فهم النص القرآني إذا لم يحدد بحدود ويضبط بضوابط تحفظه من التحريف والتأويل المفرط: «ومن المعروف أن أهل الحديث وقفوا ضد أهل الرأي وناقضوا المتكلمين وبخاصة المعتزلة»[7]، وإذا كانت مهمة هذا العلم أي مهمة علم أصول الفقه هي ضبط وسائل الفهم ومعرفة طرق الاستدلال بالنصوص الشرعية، فإنه تسلح بمجموعة من المفاهيم النظرية والمصطلحات التي تميزه من غيره من العلوم، ومن هذه المصطلحات برزا مصطلحا الخطاب والنص.

على معنى أن توظيف مصطلحي الخطاب والنص في علم أصول الفقه يحيل على تصور ذهني ومعرفي مغاير للتصور اللغوي البدئي عند الدالين؛ إذ إن العلاقة بين الدال والمدلول –كما هو متعارف عليه– تتحدد من خلال السياق الذي ترد فيه فيقصد، وليس من شك في أن هذين المفهومين كانا مثار خلاف بين الدارسين القدامى وذلك في إطار الحق العلمي الواحد ومورد الخلاف يؤول إلى منهج الفهم والاستنباط من النصوص الشرعية، وأظهر الخلاف في ذلك خاصة فيما يتعلق بمفهوم النص هو الخلاف بين الأصوليين الذين يجمعون باستنباط بين حرفية النص والقصد منه وبين الظاهرية أمثالهم: "أبو محمد بن حزم الأندلسي"

الذين لا يرون بالنظر المقصدي بل لا يوشكون أن يتجاوزوا لفظية النص وهم يبدون على ذلك إحلال العقل كدليل شرعي رابع في محل القياس.

وذلك ما يتعارض في تصور بعض الباحثين مع طبيعة الاختلاف بين اللوغوس اليوناني والنص العربي، أي أن مسألة التطابق يؤول إلى النظرة الإسقاطية: «ففي اللوغوس الألفاظ هي تصورات ومقولات، والعبارات قضايا ومقولات، والكلام قياس واستدلال، بينما الألفاظ في النص هي صور، هو نظام مشتق ومعنى صريح ودلالة متطابقة، بينما كلام النص رموز موحية ومعان فائضة ودلالة متعددة، واللوغوس المعرفة بحث ونظر افتراض وبرهنة، تساؤل وتشكيك. وفي النص المعرفة حدس وإشراق وكشف، وفي اللوغوس تنتج الأفكار وفقا لقواعد المنطق أما في النص فإن المعاني تؤكد وفقا لقواعد اللغة، والمجاز، وأخيرا في اللوغوس ثمة وجهة غالبة من الكثرة إلى الوحدة ومن الاختلاف إلى التشابه، بينما ثمة إمكان لأن ننحو مع النص من الوحدة إلى الكثرة ومن المؤتلف إلى المختلف»[8].

وفي مجال الدراسات الأدبية والنقدية فقد كان النص معروفا ضمنا على الأقل، وإن كان الدارسون يشيرون إليه ببعض التسميات الأخرى كالشاهد على ذلك يرى بعض الباحثين بأن النص والخطاب في علم أصول الفقه تحديدا يتطابقون أحيانا مع ما يظهر من ملامح التأثر بالمنطق الأرسطي كنشأة وتبلور العلوم والمعارف في الثقافة العربية، لقد ترجم العرب في العصور العباسية: «ما كانوا يحتاجون إليه وتمثلوه تمثلا فريدا بحيث يصعب اتهامهم بأنهم نقلة مقلدون واستفادوا هما اطلعوا عليه في فلسفات الآخرين من يونان وهنود وفرس في بناء فلسفة إسلامية مميزة، كما استفادوا من نتاجات الأمم الفكرية في بناء نتاجهم الفكري الخاص»[9].

مفهوم النص والخطاب عند الغرب: أما حضور النص في السياق الثقافي الغربي فقد كان حضورا متعددا ومتنوعا مثله كمثل الخطاب، ويرجع ذلك إلى اختلاف المناهج والرؤى، وحتى العلوم التي عالجت مفهومي النص والخطاب فمع: «اللسانيين رأينا الحديث عن الخطاب وتحليله يختلف باختلاف الإطار النظري المنطلق منه، ومن الجملة كأعلى وحدة لسانية إلى الخطاب كوحدة جملية كبرى قابلة للتوصيف اللساني من وجهة تحليل الخطاب رأينا آراء كثيرة وتصنيفات عديدة سواء كان التعامل مع هذه الوحدة كمتوالية من الجمل ينتجها مرسل واحد أو عدة متخاطبين (الحوار/المخاطبة). ومع الباحثين في الخطاب السردي من منطلق لساني، عاينا الظاهرة نفسها مادامت مشاكل التحليل اللساني قد نقلت إلى المجال السردي، الشيء الذي جعلنا أمام تقسيم الحكي إلى ثنائي وثلاثي، وتبعا للتقسيم المتبنى تعددت المفاهيم والمصطلحات

والمقاربات، وتباينت الإطارات النظرية المبلورة في هذا النطاق كما اختلفت حدودها ومراميها»[10]، وليس من شك في أن مفهوم النص ابتداء متصل ببروز الظاهرة النصية نفسها أي يتحول الاشتغال اللساني والنقدي من المؤلف إلى النص.

ولذلك يرى بعض الدارسين أن: «السبب الكامن وراء بروز الشكلانية هو "الأزمة المنهجية" التي كانت تعصف بمفاهيم الأدب ودراساته، وقد ركز الشكلانيون اهتمامهم في مجالين بارزين هما، دراسة الصفة التي تجعل من الأثر عملا أدبيا، وهي ما أطلق عليها جاكبسون "الأدبية" ومفهوم الشكل إذا تصدوا بجرأة لمبدأ ثنائية الشكل والمضمون في الأثر الأدبي، وهو ما كانت النظريات النقدية القديمة تذهب إليه، وأكدوا أن النص الأدبي يختلف عن غيره ببروز شكله، وتمثلت جهودهم في مجال الأبحاث النظرية، والدراسات التطبيقية، وأخيرا الكتابات الإبداعية كما توج ذلك عند شلوفسكي وتنيانوف»[11]، والملاحظ في التوجهات الشكلانية والبنيوية أنها ذات منشئ لساني كما هو الحال بالنسبة للبنيوية التي أسست منظومتها النقدية على خلفية لسانية جلية، كما في طرحها عن مفهوم البنية أو العلامة التي تعود إلى الدرس السويسري.

وإذا كان تطور اللسانيات عاملا مؤثرا تأثيرا حتميا في تبلور مفهوم النص في الدراسة الأدبية والنقدية، فإن مفهوم النص نفسه خضع هو الآخر لتمرحلات وإبدالات الحركة النقدية ليكون بذلك مسهما في تطور مفهوم الخطاب، وافتراقه عنه، وذلك بسبب ارتباط كل من مفهوم النص والخطاب بنزعة نقدية مختلفة من حيث الأولية والمحورية، وعلى ذلك شاع بين الباحثين محاولة التفريق بين النص والخطاب وهي المسألة التي اشتهر فيها الخلاف بين الدارسين المعاصرين، وبناء على حصول الاختلاف في تعريف المصطلحين، وبالنظر إلى أن تعريف هذين المصطلحين راجع –كما سبق– إلى الاختلاف في المناهج والرؤى والمرجعيات النظرية، سواء في الحقل اللساني أم في الحقل النقدي.

ومن المنطلق السابق أمكن القول إن المناهج النقدية في العصر الحديث تختلف اختلافا بينا في تحديد مفهومي النص والخطاب.

فالبنيوية ترى أن النص بنية معزولة عن المؤثرات الخارجية ومحكومة بجملة من القوانين الداخلية السائرة في نظام ذاتي، تتخلله حركة منضبطة بعناصر البنية، بحيث: «يرتكز النقد في دراسة الأدب باعتباره ظاهرة قائمة في لحظة معينة تمثل نظاما شاملا، والأعمال الأدبية تصبح حينئذ أبنية كلية ذات نظم، وتحليلها

https://philolinginvestigations.com

يعني إدراك علائقها الداخلية ودرجة ترابطها والعناصر المنهجية فيها وتركيبها بهذا النمط الذي تؤدي به وظائفها الجمالية المتعددة»[12].

بينما تتفكك هذه الرؤية المنغلقة والمنشطرة على نفسها في النظريات ما بعد البنيوية حيث يصبح النص سيميائيا كما هو عند (جوليا كريستيفا) مجموعة من النصوص السابقة عليه والمتزامنة معه، غير أنه من الضروري هنا التفريق بين السيميائيات الواصفة وسيميائيات التأويل التي يلح (سعيد بنكراد) على أصولها السيميوطيقية عند (بيرس) بما هي تداخل بين عدة حقول معرفية كالفلسفة والمنطق والأنثربولوجيا، وفي ذلك يقول (بنكراد) عن السيميوز التي هي محور السيرورة الدلالية إنها: «تعد ضمانة على انفلات العلامة من ربقة الوصفي والتعيين والمباشر، وارتمائها في أحضان اللامحدد واللايقيني، وذاك هو الإسهام الحقيقي الذي جاء به بورس في نظرية التأويل»[13].

وفي بحث كتبه "رولان بارت" سنة 1971 بعنوان "من العمل إلى النص" يقدم هذا الأخير نظريته حول طبيعة النص من منظور تفكيكي والتي موجزها التالي:

- (في مقال العمل الأدبي المتمثل في شيء محدد تقترح مقولة النص التي لا تتمتع إلا بوجود منهجي فحسب، أي أنها تشير إلى نشاط وإلى إنتاج، وبهذا لا يصبح مجردا كشيء يمكن تمييزه خارجيا وإنما كإنتاج متقاطع يخترق عملا أو عدة أعمال أدبية.
- النص قوة متحررة، تتجاوز جميع الأجناس والمراتب المتعارف عليها لتصبح واقعا نقيضا يقاوم الجهد وقواعد المعقول والمفهوم.
- يمارس النص التأجيل الدائم واختلاف الدلالة، فهو تأخير دائب مبيت مثل اللغة، لكنه ليس متمركزا ولا مغلقا، إنه لا نهائي، لا يحيل إلى فكرة معصومة بل إلى لعبة متنوعة ومخلوعة.
- أن النص وهو يتكون من نقول متضمنة وإشارات وأصداء للغات أخرى وثقافات عديدة تكتمل فيه خارطة التعدد الدلالي، وهو لا يجيب عن الحقيقة وإنما يتبدد إزاءها.
- أن وضع المؤلف يتمثل في مجرد الاحتكاك بالنص فهو لا يميل إلى مبدأ النص ولا إلى نهايته، بل إلى غيبة الأدب، وما يمسح مفهوم الانتماء.

- النص مفتوح يتجه إلى القارئ في عملية مشاركة وليست مجرد استهلاك هذه المشاركة، لا تتضمن قطيعة بين البنية والقراءة، وإنما تعني اندماجها في عملية دلالية واحدة لأن ممارسة القراءة إسهام في التأليف.

ولما سبق فقد أخذ البعض في ترسيم مفهوم النص كمقابل لمفهوم الخطاب تأسيسا على كونه صورة أو شكلا سطحيا في اتصاله بقارئه، فالتحليل البنيوي الشكلي عند "ريفاتير" مثلا كفيل بلمس الظاهرة الأدبية في النص: «وذلك لأنه يهتم بما هو خصوصي في النص الأدبي، ولأنه يرتكز على النص وحده في علاقاته الداخلية المتبادلة بين الكلمات وفي علاقاته مع قارئه»[14].

كما أن النص يتصف لدى الكثير من الباحثين بكونه ذا بعد كتابي في حين ينصرف مفهوم الخطاب إلى المنطوق اللفظي وهذا المحدد الأول والأساس يرجع قوامه إلى تقابل مفهومي الكتابة والشفوية فينتج عن ذلك: «قصر مفهوم النص على المظهر الكتابي بينما يقتصر مفهوم الخطاب على المظهر الشفوي»[15]، هذا على الرغم من أن بعض الباحثين يكثفون المفهوم الخلافي ويقوون سنده الفلسفي باعتبار الخطاب متجاوزا للشفوية الساذجة البسيطة.

وعلى هذا النحو يدعو "سعيد يقطين" إلى القراءة المعمقة للخطاب في الحكي باعتبار أن العتامة التي يصطبغ بها الحكي: «تلح على القارئ أن يتوجه إلى قراءة الخطاب عموديا لا أفقيا فقط، أي أن قراءته يجب أن تكون تأملية وتدقيقية تكشف تلك العتامة كما تتجلى على صعيد اللغة أو الأسلوب وما يزخران به من أبعاد شعرية وتلوينية»[16]، وهكذا ينظر بعض الباحثين ذوي النزوع البنيوي إلى النص على أنه سلسلة من الألفاظ التي تتحدث بوصفها مركبا معنويا، أو لنقل إن هذا التحديد هو تحديد على أساس الجملة في حين أن الخطاب ينظر إليه على أنه مشتمل من نص أو تجاوز له في آن واحد، ويعكس بعض الدارسين هذه الرؤية ليصير النص مشتملا على الخطاب بدل أن يكون الخطاب مشتملا على النص، وفي هذا الإطار يقدم البعض تصورا مغايرا يجعل الخطاب سمة للمؤسسات الثقافية والاجتماعية ببعدها التاريخي والواقعي.

ومن غير شك فإن مفهوم النص كما مفهوم الخطاب يتحدد بسمات مميزة عند العديد من النقاد، وذلك وفق المنظومة العلمية والمنهجية التي تشكل أبعاده وتوضح معالمه على معنى أن هناك فرقا واضحا: «بين النص والخطاب والكتابة، وبالمقابل فإن هناك ارتباطا واضحا بينها، فإذا كان النص هو كل خطاب تم

تثبيته بوساطة الكتابة، فإن الكتابة هي آخر صيحة في عالم الأدب، وهي التي تستدعي القراءة المنتجة من قبل القارئ الذي يعيد إنتاج النص، تبعا لوعيه الثقافي والفني، وهي التي تسمح بتعدد التأويلات»[17]، وفي هذا الإطار تجدر الإشارة إلى مفهوم النص بوصفه مفهوما مركزيا في تبلور ما صار يعرف بمفهوم التناص خاصة لدى (جوليا كريستيفا)، فقد أصبح النص لا مجرد آلية تقوم على تصور مفهومي وتحديد علمي ضمن مجموعة من الآليات المؤثرة في حركية الدراسة الأدبية ونضجها، ولكنه يتجاوز ذلك ليصبح مدارا لمعرفة مستقلة، كما هو الحال في علم النص كما ذكرنا سابقا.

لقد وضعت كريستيفا –تأسيسا على هذا– مفهوما متقدما للنص مثلما يمكن أن يشير إليه مفهوم الانفتاح، وما يدل عليه التفريق بين النص المكتوب وبين النص المقروء، وهو التفريق الذي يضع الحد الحاسم بين النظريات الحداثية والنظريات ما بعد الحداثية في تصور مفهوم النص، وذلك ما جعل "كريستيفا" تعطي للنص بعده الحركي بما يكتنف ذلك من مؤثرات سياقية فـ: «النص ليس تلك اللغة التواصلية التي يقننها النحو، فهو لا يكتفي بتصوير الواقع أو الدلالة عليه، فحيثما يكون النص دالا (أي في هذا الأثر المنزاح والحاضر حيثما يقوم بالتصوير) فإنه يشارك في تحريك وتحويل الواقع الذي يمسك به في لحظة انغلاقه بعبارة مغايرة لا يجمع النص شتات واقع ثابت أو بوهم به دائما، وإنما يبنى المسرح المتنقل لحركته التي يساهم هو فيها ويكون محمولا وصفة لها، فعبر تحويل مادة اللسان (في تنظيمه المنطقي والنحوي)، وعبر نقل علاقات القوى من الساحة التاريخية (في مدلولاتها المنظمة في موقع ذات الملفوظ المبلغ) إلى مجال اللسان ينقرئ النص ويرتبط بالواقع بشكل مزدوج، فهو يرتبط باللسان (المنزاح الذي خضع للتحول) وبالمجتمع (الذي يتوافق مع تحولاته)»[18].

وفي حين يكتسي تحديد مفهومي النص والخطاب في السرد أهمية بالغة فلا يمكن القول بأن مفهومي النص والخطاب هما مفهومان سرديان بالأساس، كما لا يمكن إغفال دور الرواية والسرد في بروز وتطور هذين المفهومين، وعلاقتهما بنظرية النص بشكل عام، ومن الملفت هنا هو أن تحديد مجالي علم النص وتحليل الخطاب عامل ضروري في إيجاد مفهوم منضبط أو واضح على الأقل لكل من النص والخطاب، وهذا يعني أن تحديد مفهوم الخطاب مثلا يختلف باختلاف المادة ومنهج تحليل الخطاب ابتداء، ومن الضروري بعد ذلك أن يصل الاختلاف بتحديد مفهوم النص والخطاب إلى حد أن يعوض أحدهما الآخر أو أن يتخذ أحد المفاهيم صورة المفهوم المقابل في استعمالات بعض الدارسين.

غير أن الأهم من ذلك هو ملاحظة أن مفهومي النص والخطاب يتنوعان في منظومة القيم العلمية، لدرجة أنه يمكن القول إن هناك أكثر من نص وأكثر من خطاب؛ بحيث إنه يصعب الجزم بوضع اصطلاح شامل للنص أو الخطاب على الرغم من الإجماع المسبق على ضرورة التفريق بين الحدين، وعلى سبيل المثال هناك: «خطابات فردية كالمقال والبحث والسيرة لا تتطلب متلقيا حاضرا وهناك خطابات فردية ولكنها تتطلب متلقيا حاضرا كالمحاضرة والدرس وهناك خطابات يسهم في إنتاجها أكثر من فرد كالحوار والمناظرة تتطلب حضور المتخاطبين وهناك خطابات فردية ولكنها تتطلب متلقيا غائبا كالرسالة والوصية مع أن متلقي الوصية يمكن أن يكون حاضرا أيضا وهناك خطاب يستدعي مشاركا إيجابيا كالمناظرة، هناك خطابات قصيرة وخطابات طويلة، خطابات تكتفي برواية النصوص (الخبر) وخطابات تنتج نصوصا، خطابات سردية (القصة) وخطابات شعرية وخطابات نثرية»[19]، غير أنه من المهم في هذا السياق التنبيه على أن هذين المفهومين يرتبطان بحركة الوعي النقدي إلى جانب ارتباطهما بخلفيات الرؤية والمنهجية وتعدد وجهات النظر العلمية.

ولاشك أن المقاربة السيميائية للعلاقة بين المفهومين هي المقاربة الأكثر فاعلية وإجرائية خاصة في مجال السرد والتخييل الروائي، فهذا سعيد يقطين يقدم محاولة للتعريف بالمصطلحين في مجال السرد في تركيزه على أربعة اتجاهات رئيسة، فالاتجاه الأول يقف أصحابه: «عند الحد اللفظي للحكي (جينيت، تودوروف، فاينريش...) لا يميزون بين الخطاب والنص إنهما يستعملان بالدلالة نفسها التي سبق تعيينها عند تحدثنا عن الخطاب وهكذا نجد في كتابات جينيت مثلا أنه يستعمل الحكي أحيانا ويعني من خلاله الخطاب وأحيانا أخرى النص ولا غرور في ذلك إذ إن الاستعمال الأحادي للدلالة تبعا للحد الذي يقف عنده هو وأمثاله لا يستدعي أن يحمل أحدهما بدلالة تختلف باختلاف المصطلح الموظف لذلك فنحن عندما نصادف الخطاب السردي أو النص السردي في كتابات جينيت أو تودوروف علينا ألا نفكر في اختلافهما دلاليا إنهما يحملان معنى واحد وإن كان الاستعمال المهيمن هو الخطاب أما النص فلا يوظف إلا بين الفينة والأخرى»[20].

أما الاتجاه الثاني فيقدم: «النص بمعنى الخطاب الشفوي أو الكتابي وبمعنى آخر هو ما نقرأ في النص لا تتجلى لنا القصة مرتبة كرونولد ضبط من حيث أحداثها كما صور الشخصيات ومميزاتها وبقية عناصر مضمون الحكي تبدو لنا مصفاة من خلال زاوية الرؤيا أو التبئير، لما كان النص والخطاب المكتوب فهذا يستدعي من يقوم بكتابته أو فعل أو عملية الإنتاج هاته هو ما نسميه بالسرد، ومن خلال

مظاهر الحكي الثلاثة (القصة، النص، السرد) فإن النص هو ما يتعامل معه القارئ إنه مركزي من خلال مضمون الحكي والثاني من خلال إنتاجه»[21].

والاتجاه الثالث ف: «يدخل ضمن النص الجوانب الفيزيقية في تشكيل النص مثل التقسيم إلى فقرات وفصول وصفحات وتبعا لذلك فإن النص أو البنية النصية موجودة في أي عمل كيفما كان نوعه وذلك على اعتبار أن أي نص هو خطاب أو فعل لغوي ينجزه كاتب ضمني لقارئ ضمني، وهذا القارئ يثير انتباهه توالي الجمل وترابطها على مستوى البنية السطحية لتحصيل المعنى ومن خلال فعل الإثارة هذا يتحقق المظهر الإبلاغي للنص ومدى انسجامه أيضا لذلك فإن تحليل النص وفق هذا التحديد يأخذ في الاعتبار تجربة القارئ حيال هذه البنية السطحية»[22].

ويميز الاتجاه الرابع بين الخطاب والنص من خلال بلاغة النص وبلاغة الخطاب فيقع النص: «على المستوى الكرافي موازيا للوظيفة النصية وهو بذلك يأخذ معنى متوالية خطية ذات علاقة مرئية على الورق لأن تجسيده الكرافي (الكتابي) يمنحه إمكانية أن يحل على صعيد الشفرة لامتلاكه خصائص لسانية ضمنية إلى جانب ذلك الشكل الكتابي أو التركيبي»[23].

خلاصة: وتأسيسا على ما سبق يمكن إيجاز مسيرة التفريق بين النص والخطاب في استقصاء وقراءة ظهور وحد كلمتي النص والخطاب في السياق العربي، وعلى وجه أدق في التراث والثقافة العربية، والانتقال بعد ذلك إلى محاولة وصف وتحليل حضور هذين المفهومين خاصة مفهوم النص في الدراسات الأدبية والنقدية الحديثة كما في النقد البنيوي والسيميائية ومن ثم السعي إلى إحداث تصور لمفهومي النص والخطاب في ظل الدراسات اللسانية بدءا بالبنيويين وصولا إلى لسانيات النص ولسانيات الخطاب وعلاقتهما باللسانيات التداولية، و من ثم التعريج على حضور النص كمفهوم أصيل وثابت في إطار علم النص، وعلاقته هو ومفهوم الخطاب بمادة تحليل الخطاب، وأخيرا محاولة فهم الارتباط بين النص والخطاب (النص على وجه الأخص) في ظل نظرية النص بمفهوم التناص بناء على ما تطرحه نظرية باختين.

الهوامش:

(1) عبد الملك مرتاض: نظرية النص الأدبي، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2007، ص50، ص51.

(2) المرجع نفسه، ص54.

(3) المرجع نفسه، ص274.

(4) محمد عزام: النص الغائب، تجليات التناص في الشعر العربي الحديث، دراسة، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2001، ص15.

(5) الزمخشري: أساس البلاغة، نقلا عن عبد الملك مرتاض، المرجع السابق، ص44.

(6) محمد أركون: الفكر الأصولي واستحالة التأصيل، نحو تاريخ آخر للفكر الإسلامي، تر وتح: هاشم صالح، دار الساقي، بيروت، لبنان، ط3، 2007، ص07.

(7) المرجع نفسه، 08.

(8) علي حرب: الحقيقة والتأويل، قراءات تأويلية في الثقافة العربية، التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 2007، ص30.

(9) طلال حرب: أولية النص، نظرات في النقد والقصة والأسطورة والأدب الشعبي، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1999، ص10.

(10) سعيد يقطين: انفتاح النص الروائي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، بيروت، لبنان، ط3، 2006، ص09.

(11) عبد الله إبراهيم وآخرون: مدخل إلى المناهج النقدية الحديثة، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، بيروت، لبنان، ط2، 1996، ص10.

(12) صلاح فضل: مناهج النقد المعاصر، دار الآفاق العربية، القاهرة، 1996، ص87.

(13) سعيد بنكراد: السيميائيات والتأويل، مدخل لسميائيات ش.س.بورس، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، بيروت، لبنان، ط1، 2005، ص105.

(14) محمد عزام: المرجع السابق، ص19.

(15) المرجع نفسه، ص19.

(16) سعيد يقطين: انفتاح النص الروائي، ص 152.

(17) محمد عزام: المرجع السابق، ص26.

(18) جوليا كريستيفا: علم النص، تر: فريد الزاهي، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ص29.

(19) عبد الله العشي: زحام الخطابات، مدخل تصنيفي لأشكال الخطابات الواصفة، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، تيزي وزو، 2005، ص109.

(20) سعيد يقطين: انفتاح النص الروائي، ص10.

(21) المرجع نفسه، ص11.

(22) سعيد يقطين، المرجع السابق، ص12.

(23) المرجع نفسه، ص13.